ملامح نظرية النص عند فخر الدين الرازي(ت٦٠٥هـ) في كتابه (التفسير الكبير)

الدكتور الحسين بركات
قسم اللغة والأدب العربي ـ جامعة المسيلة ـ الجزائر
Hocine.barkat@uiv-msila.dz

Theoretical features the text stubborn testing honor the debt (605 h) in his book (the big interpretation)

Hocine Barakat Dr.
The language and the literature divided Arabic, comprehensive msila, Algeria

الملخص:-

لما ذهب الفخر الرازي أن القرآن كله كالكلمة الواحدة كما جاء في تفسيره كان يدرك ما تعنيه هذه الكلمة من أن النص القرآن بنية كلية متماسكة ومنسجمة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، ولذلك فإنه التمس كل وسيلة يمكن أن تعينه على تفسير هذا النص وفق القواعد والأصول، فكانت منهجية التحليل عنده قد تجاوزت دراسة المفردة القرآنية من حيث دلالتها الأصلية ودلالاتها في التراكيب المختلفة من خلال السياقات الواردة فيها وما توحي به من دلالات إضافية، بمعنى أنه تجاوز الدراسة النحوية والتركيبية إلى دراسة ما هو خارج عن الجملة مما له علاقة قوية بالدلالة العامة للنص، والتفاعل الدلالي بين أجزائه. فاستعمل مصطلح (النظم) الذي يقوم عنده على أسس كثيرة منها: الاهتمام بدراسة المعاني العامة للجمل من حيث التقرير و النفي و الاستفهام التوكيد والشرط و الجزاء و النداء والتمني و الترجي وغير ذلك، وكذلك الحذف، والتقديم، والتأخير. وعلاقة العطف، وعلاقة التناسب والترتيب، وعلاقة الإحالة، وعلاقة التفصيل بعد الإجمال وغير ذلك.

في هذه الورقة البحثية سوف أقتصر على تحليل بعض النماذج من علاقات التماسك النصي الواردة في تفسيره المسمى "التفسير الكبير"، وستكون الدراسة وفق العلاقات الرأسية باعتبارها العلاقات النصية المسئولة عن ترابط وتماسك وحدات النص، لأبين كيف كان تحليله لقضية بناء النص وتماسكه انطلاقا من بعض المعايير.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، ملامح نظرية النص، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، النظم، علاقة العطف، علاقة التناسب والترتيب.

Abstract:-

For what the testing honor went that the Quran all him as the word the one just as his interpretation came in was knows what means him this word from that the text the Quran is complete structure tenacious and harmonious sonic wSrfyaa and grammatical and semantic, and for your lowness so indeed him all method requested be possible to assigns him on interpretation the text raved the bases and the origins reconciled, so as you the methodical analysis stubborn his study exceeded single Quranic from where evidence her original wdlaalaathaa in aaltraakyb different through the contexts mentioned in her and what inspires in him from dlaalaat additional, in meaning that he the grammatical study and synthetic to study exceeded what he outside about the sentence of which for him strong relationship in the general evidence for the text, and the semantic interaction between his parts. So term used (the composition) who hardheads on many bases straighten his from her: The helped interest in study the common people for the camel from where the report and the denial the denial and the inquiry the inquiry the confirmation and the condition and the retribution the retribution and the call the call and the wish and aaltrjy and other than, and as your lowness the deleting, and the presentation, and the delay. Relationship of the compassion, and relationship of the symmetry and the arrangement, and relationship of the referring, and relationship of the detail after the summarizing and other than.

In this research paper will analysis of some examples from relationships of the adherence limits on the textual incoming in interpretation his poisoned “the big interpretation”, and the study will form the head about connection and adherence unities of the text reconciled her the head relationships in considering the textual relationships, for fathers how his analysis was to builder of the text and his accomplished adherence departure from some criteria.

Key words: The generous, Quran theoretical features the text, testing , honor the debt the big, interpretation the composition, relationship of the compassion, relationship of the symmetry and the arrangement.

التحليل:

انطلقت دعوة هاريس إلى ضرورة توسيع حدود موضوع البحث اللساني من خلال الانتقال إلى نحو النص أي الخروج من إطار التحليل الجملي إلى التحليل النصي ذلك أن النص يمثل المعنى الكلي، أما ما تمثله وتقدمه الجملة فلا يشكل إلا معنى جزئيا من المعنى الكلي للنص. ثم أن النصوص تختلف من حيث طريقة بنائها ومن حيث السياق الذي يحكم كل نص، وهذا بدوره يؤدي إلى اختلاف في طريقة التحليل على مستوى المنهج والأدوات؛ ولذلك تدعو اللسانيات النصية:" إلى تطوير وسائل التحليل اللغوي؛ لتكون قادرة على معالجة العلاقات فيما وراء الجملة، وعلى وصف الخواص الأسلوبية التي تحقق الاستمرارية البنوية للنص"[١].

إن القارئ المتمعن لتراثنا يكتشف أنه غني بكثير من الممارسات والتحليلات النصية التي بينت كثيرا من العناصر والأصول التي تتصل بما يسمى "لسانيات النص"، بالرغم من أنها لم تؤسس لنظرية لغوية وهذا لا ينقص من قيمة ولا من جهود علماء العربية والمفسرين الذين كان لهم الفضل بل والسبق في ذلك كعبد القاهر الجرجاني وابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وأبو مسلم الأصفهاني (ت٣٢٢هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، والواحدي وفخر الدين الرازي وجلال الدين السيوطي وغيرهم.

الكلام العربي بشكل عام والقرآن الكريم بخاصة تربط بين أجزائه روابط لفظية وأخرى معنوية وظيفتها أن يكون الكلام متماسكا، وهذا التماسك في بناء النص لاشك أنه يبنى على نوعين من العلاقات:

الأول: العلاقات الأفقية، وهي العلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة.

الثانية: العلاقات الرأسية، وهي العلاقات التي تربط بين وحدات النص كله[٢].

ومن هنا فقد أصبح المنهج التحليلي في الدراسات اللغوية المعاصرة يهدف إلى اكتشاف بنية النص ككل؛ أي ما يسمى بـ "العلاقات النصية"[٣] بعدما كان يدرس العلاقات بين الوحدات المكونة للجملة الواحدة، وهذا ما دعا إليه "هاريس الذي اعتمد منهجه في تحليل النص على العلاقات التوزيعية بين الجمل"[٤].

وبهذا المنهج تناول الرازي بالشرح والتفصيل نظام العلاقات بين الآيات مثل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والعطف، والفصل والوصل، كما أسهب في حديثه عن الأساليب الخبرية والإنشائية والعلاقات بينها على أسس دلالية ومقامية. وهي تمثل جانبا من النظم في القرآن الكريم الذي جسده الفخر الرازي من خلال منهجه التحليلي في تفسيره.

ينطلق الفخر الرازي من قاعدة مهمة تتعلق بأهمية مراعاة النظم القرآني في عملية تفسير القرآن الكريم، ومضمونها أن يقوم التفسير على دلالة اللفظة، ثم ينتقل إلى دلالة الأسلوب مراعيا في ذلك الجوانب المختلفة التي تتطلبها أسس هذه الدلالة في اللفظ والتركيب.

فالغاية من دراسة التراكيب وإخضاعها للتحليل هي الوصول إلى تفسير دلالي مناسب، ذلك أن التركيب من أهم وسائل إنتاج الدلالة، وهذا ما عبر عنه الجرجاني: " ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"(٥).

إن ما قدمه علماء اللغة والمفسرون من دراسات للقرآن، وخاصة منها " ما يمس إعجازه وفنه، وبيانه وبلاغته، وجمال أسلوبه يُعد الأساس الأول لدراسة الجانب الفني في القرآن، وأن أهمية كتب التفاسير ترجع إلى أنها تمثل في مجموعها شرحا للقرآن اتخذ بعضها طريقة التحليل، وفي التحليل تكمن الجوانب الفنية، ونلمس هذا جليا عند الزمخشري في كشافه ، والرازي في التفسير الكبير"(٦).

ولما ذهب الفخر الرازي إلى أن:"...القرآن كله كالكلمة الواحدة "(٧).كما جاء في تفسيره كان يدرك ما تعنيه هذه الكلمة من أن النص القرآن بنية كلية متماسكة ومنسجمة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، ولذلك فإنه التمس كل وسيلة يمكن أن تعينه على تفسير هذا النص وفق القواعد والأصول، فكانت منهجية التحليل عنده قد تجاوزت دراسة المفردة القرآنية من حيث دلالتها الأصلية ودلالاتها في التراكيب المختلفة من خلال السياقات الواردة فيها وما توحي به من دلالات إضافية، بمعنى أنه تجاوز الدراسة النحوية والتركيبية إلى دراسة ما هو خارج عن الجملة مما له علاقة قوية بالدلالة العامة للنص، والتفاعل الدلالي بين أجزائه. فاستعمل مصطلح (النظم) الذي يقوم عنده على أسس كثيرة منها:

الاهتمام بدراسة المعاني العامة للجمل من حيث التقرير و النفي و الاستفهام التوكيد والشرط و الجزاء و النداء والتمني و الترجي وغير ذلك، وكذلك الحذف، والتقديم، والتأخير. وعلاقة العطف، وعلاقة التناسب والترتيب، وعلاقة الإحالة، وعلاقة التفصيل بعد الإجمال وغير ذلك.

في هذه الورقة البحثية سوف أقتصر على تحليل بعض النماذج من علاقات التماسك النصي الواردة في تفسيره المسمى "التفسير الكبير" أو " مفاتيح الغيب"، وستكون الدراسة وفق العلاقات الرأسية وهي "العلاقات النصية المسئولة على ترابط وتماسك وحدات النص كله"(٨)؛ لأبين كيف كان تحليله لقضية بناء النص وتماسكه انطلاقا من بعض المعايير كعلاقة العطف، وعلاقة الإحالة، ثم الإجمال والتفصيل، والترتيب والتناسب وغير ذلك وسأركز على علاقة العطف ثم علاقة الإحالة، فعلاقة التفصيل بعد الإجمال، وأخيرا علاقة التناسب والترتيب بإيجاز كبير.

أ ـ علاقة العطف.

كثيرة هي علاقات العطف التي قام بتحليلها الفخر الرازي في تفسيره وهو يتصدى لتفسير النص القرآني باعتباره خطابا منسجما متماسكا، من ذلك مثلا: عطف جملة على جملة أخرى تفصل بينهما عدة جمل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٨،٤٩)، يبين الرازي في هذا الموضع كيفية عطف الجمل غير المتجاورة فيقول:"...فإن قيل قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ماذا؟ قلنا على (الْكِتَابِ) في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كأنه قيل: وأنزلنا إليك أن أحكم و (أن) وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله (بِالْحَقِّ) (المائدة ٤٨)؛ أي أنزلناه بالحق وبأن أحكم"(٩). فهذا الربط بين جملتين غير متجاورتين يوحي بأن:

١- أن العطف عند الفخر الرازي تتجاوز دلالته الربط بين الجمل المتجاورة إلى الربط

بين دلالات عدة جمل في سياق واحد.

٢- أن هناك ربط دلالي بين الآيتين: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ و﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهو نوع من التكرار أتي به "إما للتأكيد، وإما لأنهما حكمان أمر بهما جميعا؛ لأنهم احتكموا إليه في زنا المحصن، ثم احتكموا في قتيل كان فيهم"(١٠).

ومثله أيضا الربط الدلالي الذي يقتضيه النظم وبينه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٢٩ - ٣٢).

يقول:" في كيفية النظم هو أن أخذ المال بالباطل وقتل النفس من أعمال الجوارح، فأمر أولا بتركهما ليصير الظاهر طاهراً عن الأفعال القبيحة وهو الشريعة"(١١) وهذا في الآية الأولى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. وفي الآية الثانية ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، قال:"... ثم أمر بعده بترك التعرض لنفوس الناس وأموالهم بالقلب على سبيل الحسد؛ ليصير الباطن طاهرا عن الأخلاق الذميمة "(١٢).

ومن اهتماماته بيان أنواع العطف من حيث دلالتها وهو ما يسمى بـ (عطف العام على الخاص) كما في سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة:٣) يقول: "اعلم أن قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة:١) جملة تامة مخصوصة بالمشركين، وقوله: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ جملة أخرى تامة معطوفة على الجملة الأولى، وهي عامة في حق جميع الناس؛ لأن ذلك مما يجب أن يعرفه المؤمن والمشرك من حيث كان الحكم المتعلق بذلك

يلزمهما جميعاً، فيجب على المؤمنين أن يعرفوا الوقت الذي يكون فيه القتال من الوقت الذي يحرم فيه، فأمر الله تعالى بهذا الإعلام يوم الحج الأكبر وهو الجمع الأعظم، ليصل ذلك الخبر إلى الكل"[١٣].

ومن دلالات العطف ما يختص بدلالة الأدوات ومنها ما وضحه الرازي في الفرق الدلالي بين العطف بالواو والعطف بالفاء في آيتين متشابهتين في مواطن من تفسيره، ومن ذلك ما جاء في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر:٨) العطف هنا بالواو في قوله (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ).

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٤٩) العطف هنا بالفاء في قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ يقول:"... ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء ههنا وعطف مثلها في أول السورة بالواو؟ والجواب: أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنهم يشمئزون من سماع التوحيد، ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء، ثم ذكر بفاء التعقيب أنهم إذا وقعوا في الضر والبلاء، والتجأوا إلى الله تعالى وحده، كان الفعل الأول مناقضاً للفعل الثاني، فذكر فاء التعقيب ليدل على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال، وأنه ليس بين الأول والثاني فاصل مع أن كل واحد منهما مناقض للثاني، فهذا هو الفائدة في ذكر فاء التعقيب ههنا. فأما الآية الأولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكر الله بحرف الواو لا بحرف الفاء"[١٤].

ومن دلالات أدوات العطف أيضا (ثم) وهي عند ابن هشام:" حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة"[١٥].

ويوضح الرازي دلالتها على التراخي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢)، يقول: "وكلمة ثم للتراخي في هذه الآية وليست لتباين المرتبتين، بل لتباين الوقتين فكأنه تعالى قال: الإتيان بالتوبة والإيمان والعمل الصالح مما قد يتفق لكل أحد ولا صعوبة في ذلك؛ إنما الصعوبة في المداومة على ذلك والاستمرار عليه"[١٦].

ومما خصه للأداة (ثم) من بيان في مواطن كثيرة منها في قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:١) بين أنها ليست للتراخي في الوقت بل للتراخي في الحال، يقول: "معنى (ثُمَّ) في قوله: (ثُمَّ فُصِّلَتْ) ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل، وكما تقول: فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل"(١٧).

ومن معانيها أيضا عند الرازي الدلالة على التعجب، وذلك ما وضحه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (المدثر: ١٥)، يقول:" لفظ ثم ههنا معناه التعجب كما تقول لصاحبك: (أنزلتك داري وأطعمتك وأسقيتك ثم أنت تشتمني). ونظيره قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام:١) فمعنى (ثم) ههنا للإنكار والتعجب"(١٨)، والملاحظ أن الزمخشري ذكر في هذه الآية دلالة الاستبعاد والاستنكار والمعنى لا يبعد عما ذكره الرازي إذ الاستبعاد يوجب التعجيب؛ إذ يقول:" ثُمَّ يَطْمَعُ: استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه"(١٩).

ومن قضايا العطف التي يكتنفها الإشكال، والتي وقف عندها الفخر الرازي وعالجها مبينا الأصل في العطف معتمدا على السياق النحوي في تخريجها وفق قوانين العربية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام:٩٥) حيث عطف الاسم على الفعل قبيح كما ذكر. يقول:" لقائل أن يقول: إنه قال أولا: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ثم قال: (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ)، وعطف الاسم على الفعل قبيح فما السبب في اختيار ذلك؟ قلنا: قوله: (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ)، معطوف على قوله: (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالبيان والتفسير لقوله: (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)، لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأن النامي في حكم الحيوان"(٢٠).

وفي موطن آخر يبين أن عطف الأمر على الخبر لا يمكن ولكنه يزيل الإشكال بتقدير محذوف حتى يستقيم العطف، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا

وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩). يقول: "لقائل أن يقول: (أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) خبر. وقوله: (وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ) أمر، وعطف الأمر على الخبر لا يجوز؟ وجوابه التقدير: (قل أمر ربي بالقسط، وقل أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)"(٢١).

ب ـ علاقة الإحالة.

من ضمن المعايير التي استخدمها الفخر الرازي في تفسيره وهدفه الكشف عن العلاقات بين المعاني الجزئية للوصول إلى المعنى الكلي للنص، هي علاقة الإحالة وتشمل الإحالة بالضمير أو بالإشارة إلى متقدم أو إلى متأخر ومن ذلك:

ـ الإحالة بالإشارة.

من الإحالة بالإشارة ما جاء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣) فقد بين الفخر الرازي تماسك الآيات من خلال لفظ الإشارة(تلك) من أول السورة إلى هذه الآية. فقال:"... أنه إشارة إلى كل ما ذكره من أول السورة إلى ههنا من بيان أموال الأيتام، وأحكام الأنكحة، وأحوال المواريث.... أن عوده إلى الأقرب إذا لم يمنع من عوده إلى الأبعد مانع يوجب عوده إلى الكل"(٢٢).

ومثله في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (الأنعام:٨٩). حيث ذكر أن اسم الإشارة(أُولَئِكَ) عائد إلى ما تقدم ذكره وهم الأنبياء الثمانية عشر. يقول:" اعلم أن قوله: (أُولَـئِكَ) إشارة إلى الذين مضى ذكرهم قبل ذلك، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله تعالى قبل ذلك، ثم ذكر تعالى أنه آتاهم الكتاب والحكم والنبوة"(٢٣).

ثم يبين أن عطف (الكتاب) و(الحكم) و(النبوة) يوجب المغايرة فقال:" واعلم أن العطف يوجب المغايرة، فهذه الألفاظ الثلاثة لا بد وأن تدل على أمور ثلاثة متغايرة... فقوله (الْكِتَابَ) إشارة إلى أنه تعالى أعطاهم العلم الكثير. وقوله: (وَالْحُكْمَ) إشارة إلى أنه تعالى جعلهم حكاماً على الناس نافذي الحكم فيهم بحسب الظاهر. وقوله: (وَالنُّبُوَّةَ) إشارة إلى

المرتبة الثالثة، وهي الدرجة العالية الرفيعة الشريفة التي يتفرع على حصولها حصول المرتبتين المقدمتين المذكورتين"[٢٤].

ـ الإحالة بالضمير.

من الإحالة بالضمير ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥). يشير الرازي إلى أن الضمير يعود إلى بني إسرائيل:"... والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل؛ لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم"[٢٥]. وقد استغرقت من الآية الأربعين إلى الأربعة والأربعين من سورة البقرة.

ومن الإحالة أيضا عود الضمير إلى أقرب المذكورات كما أشار إليه في مواطن كثيرة منها ما ذكره في عود الضمير في قوله: (وَذَكِّرْ بِهِ) قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ﴾ (الأنعام:٧٠). قال الرازي:" قال﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾ والمراد الدين الذي يجب عليهم أن يتدينوا به، ويعتقدوا صحته. فقوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾؛ أي بذلك الدين؛ لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور، والدين أقرب مذكور فوجب عود الضمير إليه"[٢٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:٩٢ ـ ٩٣) ذكر أن عود الضمير في قوله: (لَنَسْأَلَنَّهُمْ) فيه احتمالان. يقول:" قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يحتمل أن يكون راجعاً إلى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين؛ لأن عود الضمير إلى الأقرب أولى. ويكون التقدير: أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن سائر المعاصي، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى جميع المكلفين؛ لأن ذكرهم قد تقدم في قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (الحجر: ٨٩)؛ أي لجميع الخلق، وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين فيعود قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾على الكل"[٢٧]. وهذا يدل على أن الفخر الرازي حريص على الأخذ بالمعنى القرآني لأنه الأولى من القاعدة النحوية.

ج ـ علاقة التفصيل بعد الإجمال.

انصب اهتمام الفخر الرازي كثيرا على قضية التفصيل بعد الإجمال، وهي عنصر من

العناصر التي تحقق النظم الحسن، وتبين مدى الترابط والتماسك في النص القرآني وهي كثيرة نجتزئ بعضا منها، ومثالها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ (المزمل: ١١)، إذ يقول:"...وأما الأشقياء فقد بدأ بتهديدهم على سبيل الإجمال، وهو قوله تعالى ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾، ثم ذكر بعده أنواع عذاب الآخرة، وعذاب الدنيا وهو الأخذ الوبيل في الدنيا، ثم وصف بعده شدة يوم القيامة فعند هذا تم البيان بالكلية "[٢٨].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٠ - ٣٢). حيث قال مبينا التفصيل بعد الإجمال:" اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض، وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الأجمال بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أراد تعالى أن يزيدهم بيانا، وأن يفصل لهم ذلك المجمل؛ فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي"[٢٩].

ثم يذكر أن قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة: ٤٠، ٤١).

فالإجمال في قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ ثم جاءت الآيات بعد ذلك تفصيلا في النعم الخاصة ببني إسرائيل، فيقول: "واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولاً على سبيل الإجمال فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، وفرع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمد ﷺ فقال: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا﴾. ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به. ثم ذكرهم تلك

النعم على سبيل الإجمال ثانياً بقوله مرة أخرى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:٤٧) تنبيهاً على شدة غفلتهم.

ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:٤٧) مقروناً بالترهيب البالغ بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ (البقرة:٤٨) إلى آخر الآية. ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل، ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع"[٣٠]. أما النعم الخاصة ببني إسرائيل والتي فصلتها الآيات فهي:

- أن الله تعالى أنجاهم من تعذيب آل فرعون لهم وهي قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:٤٩).

- نعمة النجاة بأن فرق لهم البحر، وتخليصهم من فرعون بإغراقه، ثم نعمة النظر أثناء إغراقه حتى يطمئنوا بأن هذا الذي كان يسومهم سوء العذاب قد فني. فقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة:٥٠).

د ـ علاقة التناسب والترتيب.

جاء في مقاييس اللغة:" النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء"[٣١].

وفي الاصطلاح:" المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها. ومرجعها والله أعلم إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب، والعلة، والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه"[٣٢].

فالتناسب إذن ترابط بين أجزاء الآية الواحدة، أو بين الآيات بعضها ببعض، أو بين السور. وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره حكاية الأعرابي الذي لم يقبل حسه اللغوي تناسب المعنى وآخر الآية حين قرأها أحدهم: ﴿والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خطأ، فقال:"...يحكى أن

قارئاً قرأ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فسمعه أعرابي فأنكره، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم. لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه"(٣٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة:٣٨). نقل الفخر الرازي عن الأصمعي قوله: "كنت أقرأ سورة المائدة، ومعي أعرابي فقرأت هذه الآية. فقلت: (والله غفورٌ رحيم) سهواً فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله. قال: أعد. فأعدت: (والله غفورٌ رحيم) ثم تنبهت فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟ فقال: الآن أصبت. فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا، عزيزٌ حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع"(٣٤). فالمعنى عزيز في انتقامه حكيم في شرائعه وتكاليفه ولا يناسب غفور رحيم.

واعتنى المفسرون بالمناسبة في تفاسيرهم، ومنهم ابن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)، وأبو مسلم الأصفهاني (ت٣٢٢هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ولعل أبا مسلم أول من أشار إلى أهمية الترابط بين الآيات للوصول إلى المعنى، فقد أعجب الفخر الرازي بحسن تفسيره وامتدحه، ونقل عنه بعضا مما جاء في المناسبة، ومن ذلك فقد بين صلة قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:٢٨٤)، بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٤).

فقال: "في كيفية النظم، قال أبو مسلم: إنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ذكر عقبه ما يجري مجرى الدليل العقلي، فقال: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ومعنى هذا الملك أن هذه الأشياء لما كانت محدثة فقد وجدت بتخليقه، وتكوينه، وإبداعه، ومن كان فاعلاً لهذه الأفعال المحكمة المتقنة العجيبة الغريبة المشتملة على الحكم المتكاثرة، والمنافع العظيمة، لا بد وأن يكون عالماً بها. إذ من المحال صدور الفعل المحكم المتقن عن الجاهل به. فكأن الله تعالى احتج بخلقه السماوات والأرض مع ما فيهما من وجوه الإحكام

والإتقان على كونه تعالى عالماً بها محيطاً بأجزائها وجزئياتها"[٣٥].

وتابع الفخر الرازي من سبقه لكنه كان أكثر توسعا وإثراء للمناسبة خاصة وأن مفهوم الأسلوب له مكانة كبيرة عنده فيغدو أساسا لظهور المناسبة، لذلك وظف الأسلوب في إبراز ما يتميز به القرآن الكريم من الإعجاز البياني، خاصة على مستوى الترابط والتماسك بين سوره وآياته، وقد عبر عنها أحيانا بـ (الترتيب) وأحيانا يسميها باسمها، ويرى أن كثيرا من اللطائف والنكات تكمن في مثل هذه العلاقات التي تربط بين الآيات والسور، فبين أهميتها ورأى أنها من الإعجاز، وقد أغفل عنها كثير من المفسرين كما يقول:" ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعلّ الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور"[٣٦]. ويقول أيضا:" واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية ونصاباً وافياً من العلوم الإلهية الكشفية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن"[٣٧].

ويمتاز منهجه بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة.

وشملت دراسته للمناسبة ما يلي:

- المناسبة بين جزئيات الآية الواحدة.
- المناسبة بين أجزاء السورة الواحدة.
- المناسبة بين الآية والآية.
- المناسبة بين أول السورة وآخرها.
- المناسبة بين أول السورة وآخر ما قبلها.

ومن المواطن التي أشار فيها الرازي إلى مصطلح المناسبة وهي كثيرة نجتزئ بعضا منها كما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة:١٢٠) حيث ذكر ارتباط وتناسب آخر السورة بأولها؛ فقال:" أن مفتتح السورة كان

بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:١) وكمال حال المؤمن في أن يشرع في العبودية وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية. فالأول: هو الشريعة وهو البداية، والآخر: هو الحقيقة وهو النهاية. فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقدرته وعلوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة. فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم"(٣٨).

ومن المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة ما بينه وهو يفسر قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٩) فقال: "قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ إشارة إلى ثلاثة أشياء ذكرها على ترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الكتاب السماوي ينزل أولاً، ثم إنه يحصل في عقل النبي فهم ذلك الكتاب وإليه الإشارة بالحكم؛ فإن أهل اللغة والتفسير اتفقوا على أن هذا الحكم هو العلم. قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:١٢) يعني: العلم والفهم. ثم إذا حصل فهم الكتاب فحينئذ يبلغ ذلك إلى الخلق وهو النبوّة. فما أحسن هذا الترتيب!"(٣٩).

ومن حسن الترتيب أيضا ما نقله عن الزمخشري في تقدير ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١،٢). فقال: "قال صاحب (الكشاف): محل ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المتقدم خبراً عنه. ويجوز أن ينصب على الحال، والعامل فيه الإشارة أو الظرف. والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذا المجال صفحاً، وأن يقال: إن قوله: ﴿الم﴾ جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة ثانية. و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثالثة. و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم؛ حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض، والثانية متحدة بالأولى وهلم جراً إلى الثالثة، والرابعة. بيانه: أنه نبّه أولاً على أنه الكلام المتحدي به. ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقرير الجهة التحدي. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله"(٤٠).

ثم أضاف الرازي ما لهذا الترتيب من حسن وأناقة ونكت بلاغية، فقال: "... ثم لم يخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق من نكتة. ففي الأولى: الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه. وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة: ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة: الحذف، ووضع المصدر - الذي هو (هدى) - موضع الوصف الذي هو هادٍ وإيراده منكرا"[٤١].

ويكثر الرازي من التأمل والتدبر ويرى أن أكثر اللطائف كامنة في الروابط والترتيبات ويعتبرها من أسباب الفصاحة، كما توسع في دراسته لقضية النظم لتشمل التركيب والفقرة والنص بل مجموعة النصوص، مجسدا لما آمن به وهو أن القرآن كله كالكلمة الوحدة في تماسكه وترابطه.

هوامش البحث

١. تمام حسان، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ص٧٨٨ ضمن(كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي) أعمال ندوة عقدت في نادي جدة الأدبي الثقافي ستة ١٩٨٨م.
٢. ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف. اللغة وبناء الشعر، ط١، دار غريب، القاهرة: ١٩٩٢م، ص٤٤، ٤٥
٣. أحمد عزة يونس. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة،٢٠١٤م، ص٨.
a. ينظر: جميل عبد المجيد. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: ١٩٩٨م، ص٦٦
٤. عبد القاهرالجرجاني. دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاك، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ص٤٩،٥٠.
٥. عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن. مؤسسة عبد الكريم ، ط١؛ تونس: ١٩٨٠م ، ص٧
٦. التفسير الكبير، تح: هاني الحاج وعماد زكي البارودي. المكتبة التوفيقية ، (د.ط)، مصر: ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٥٩.
٧. جميل عبد الحميد. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:١٩٩٨م.
٨. ص٦٦،٦٥.
٩. التفسير الكبير، ج١٢، ص١٢ / والزمخشري، الكشاف، مطبعة البابي الحلبي(د.ط)؛ مصر:١٣٦٧هـ ج١، ص٦٤٠.
١٠. التفسير الكبير، ج١٢، ص١٢.
١١. المصدر نفسه، ج١٠ ، ص٧٣

١٢. التفسير الكبير الموضع نفسه
١٣. التفسير الكبير، ج ١٥، ١٨١
١٤. التفسير الكبير، ج٢٦، ص٢٦٣
١٥. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط٢؛ دار السلام، القاهرة، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ج١، ص٢٦٥.
١٦. التفسير الكبير، ج٢٢، ص ٩٧
١٧. التفسير الكبير، ج١٧، ص ١٤٩ / والزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٧٧
١٨. التفسير الكبير، ج ٣٠، ص١٨٥
١٩. الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٨٤
٢٠. التفسير الكبير، ج١٣، ص ٧٧ / والزمخشري، الكشاف،ج٢، ص٤٧
٢١. التفسير الكبير، ج١٤، ص٤٨
٢٢. التفسير الكبير، ج٩، ص١٩٦
٢٣. التفسير الكبير، ج ١٣، ص٥٦
٢٤. التفسير الكبير. ج١٣ ، ص٥٧
٢٥. التفسير الكبير،ج ٣، ص ٤٨
٢٦. التفسير الكبير، ج١٣، ص٢٤
٢٧. التفسير الكبير. ج١٩ ، ص١٧٦
٢٨. التفسير الكبير،ج٣٠، ص١٧١، ١٧٢
٢٩. المصدر نفسه، ج ٢، ص١٧٤
٣٠. التفسير الكبير، ج٣ ، ص٣٠
٣١. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥، ص ٤٢٣ مادة (نسب)
٣٢. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٥
٣٣. التفسير الكبير، ج٥، ص١٩٠
٣٤. التفسير الكبير، ج١١، ص١٩٧
٣٥. التفسير الكبير،ج٧، ص١٢١
٣٦. التفسير الكبير، ج٧، ص١٢١
٣٧. التفسير الكبير، ج٢٧، ص١١٠
٣٨. التفسير الكبير، ج١٢، ص١٢١
٣٩. التفسير الكبير، ج٨، ص١٠٣
٤٠. الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٦، ٣٧ / والتفسير الكبير، ج٢، ص٢٦
٤١. التفسير الكبير، ج٢، ص٢٦

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. أحمد عزة يونس. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة،٢٠١٤م، ص٨.

٢. تمام حسان، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ضمن(كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي) أعمال ندوة عقدت في نادي جدة الأدبي الثقافي ستة ١٩٨٨م.

٣. الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الله بن يوسف ،ت٤٧١هـ).- دلائل الإعجاز في علم المعاني.تح: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٤. جميل عبد الحميد. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:١٩٩٨م

٥. الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، ت٦٠٦هـ).- التفسير الكبير. ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي. المكتبة التوفيقية ، (د.ط)، مصر: ٢٠٠٣م الأجزاء من ١ إلى ٣٢

٦. الزركشي بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. (د.ط)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة، بيروت ،(د.ت)

٧. الزمخشري (القاسم جار الله محمود بن عمر،ت٥٣٨هـ) ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مطبعة البابي الحلبي ، (د.ط)؛ مصر:١٣٦٧هـ

٨. محمد حماسة عبد اللطيف. اللغة وبناء الشعر، ط١، دار غريب، القاهرة: ١٩٩٢م

٩. عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن. مؤسسة عبد الكريم ، ط١؛ تونس: ١٩٨٠م

١٠. ابن هشام (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. الطبعة الثانية؛ دار السلام ، القاهرة ، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .